

بسم الله الرحمن الرحيم

المحاضرة الثامنة

البيان العلمي للعقيدة الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

أيها الإخوة والأخوات مرحباً بكم إلى المحاضرة الثامنة في سلسلة محاضراتنا هذه حول العقيدة الإسلامية وقد كنا ولا نزال نتكلم عن الأمور الغيبية التي يجب على المسلم أن يعرفها عن طريق المنهج العلمي لمعرفة الغيبيات وقد كان آخر حديثنا عن الإيمان بالحساب كحدث من أحداث يوم القيامة وقد عرفنا أن الذي يرتاب في أن هنالك حساباً يوم القيامة كما أخبر الله عز وجل فهو كافر وإن تشهد شهادة الإسلام ذلك لأنه بإنكاره للحساب منكر لكثير من نصوص القرآن الواضحة الدلالة بل القاطعة الدلالة. ونتجاوز الآن الحديث عن الحساب إلى الحديث عن الميزان يوم القيامة توزن أعمال الناس بميزان الله أعلم بكيفيته وبعظمه، ونحن نظل نكرر ونكرر أن الإيمان بهذه الأمور داخل في قائمة الأمور الغيبية آمننا بالله ثم آمننا بنبوة رسول الله وآمننا بأن القرآن كلام الله ورأينا كلام الله يخبرنا قائلاً **(والوزن يومئذ الحق)** إذن لا مجال لإنكار الميزان ولا مجال لتأويله بشكل من الأشكال، ولو جاز التأويل وسمحت اللغة لأولنا، ولكن اللغة لا تسمح والأصل في الكلام الحقيقة وهو يقول **(فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون)** فلا يجوز لنا أن نعطل دلالة القرآن فإن قال قائل منا وما حاجة الله إلى الميزان نحن نحتاج إلى الميزان لنزن الأشياء التي تعرف بثقلها وأحجامها لأننا عاجزون ضعفاء لكن الله يعلم الشيء قبل أن يوزن أعيدكم إلى الكلام الذي قلته عندما تكلمنا عن كيفية الحساب وأن الله عز وجل لا يحكم على العبد أو له بموجب علمه وإنما يحكم بموجب البيّنات وبموجب الوثائق المادية وهذا مزيد من مظهر الموضوعية والعدالة التي ألزم الله بها عباده في دار الدنيا ثم ألزم الله بها ذاته العلية يوم القيامة فالباري عز وجل يجعل للأعمال وزناً ويجعل لها حجماً ولا داعي لعجب ولا داعي لاستغراب وطبعاً أنا أعلم أن فينا من يقول ركعتان صلاهما الإنسان قبل الفجر أي حجم لهما حتى يوزنا نعم هذا

الكلام نقوله ونحن في دار الدنيا لأن دار الدنيا هذه أعطتنا مقاييس اقتضت أن لا يكون للصلاة حجم ووزن ولكننا إذا رحلنا إلى الدار الأخرى فإن الله قادر أن يجعل لها حجماً ووزناً وما أعجب الإنسان إذ يرى أن أشياء تخضع للوزن في الأرض فإذا صعد بها الإنسان إلى طبقات الفضاء غاب عنها الوزن ويؤمن ويقرر ولا يستشكك ونحن نعيش في نظام الدنيا لا نزال فلماذا نتعجب ونستغرب من أن يجعل الله عز وجل لغيبه اغتابها إنسان وزناً وحجماً تتغلب على وزن صلاة صلاحها الإنسان وليس هنالك شيء مستحيل على قدرة الله سبحانه وتعالى وهذه الموازين أيها الإخوة لها مقاييس دقيقة جداً ليست خاضعة لرأي العين فرب عمل صالح قام به الإنسان ويرى أحدنا له مظهراً ضخماً عظيماً جداً جداً كجهد مثلاً قدم روحه رخيصة في سبيل الله نجده إذا وضع في الميزان عاد هكذا وربما يجد أحدنا عملاً بسيطاً في دار الدنيا وربما قدم طعاماً بسيطاً لفقير أنجد إنساناً مضطراً أدخل جبراً بخاطر إنسان كثير فنجد لهذا العمل حجماً عظيماً ووزناً ثقيلاً يوم القيامة المسألة تابعة لمقياس الدافع الذي دفع الإنسان آنذاك إلى هذا العمل فالرجل الذي جاهد في سبيل الله ولكن جهاده كان رياء كان من أجل أهداف دنيوية نحن نرى مظهر عمله ضخماً ولكن هذا المظهر الضخم يذهب هباء فيما يتعلق بمقياس قصده ورب رجل عاصي عصي الله كثيراً ثم لقي إنساناً مكسور الخاطر مهيض الجناح ظلّم ولم يجد من ينتصر له فاتجه إليه وحبس وقته عليه وجبر بخاطره وأدخل الفرحة إلى فؤاده أو فؤاد أسرته ربما ثم مضى وهو يظن أنه لم يفعل شيئاً ولكنه يوم القيامة يجد هذا العمل ضخماً عظيماً جداً يغالب كثيراً من معاصيه هذا الميزان يكشف هذه الحقيقة التي لا نراها اليوم في دار الدنيا ولكن الله يكشفها وتتجلى حقيقة إذ النيات هي التي تعد العملة الرائجة في يوم القيامة القصد والنيات بعد ذلك نتجاوز الحديث عن الميزان إلى الحوط الحوط مكرمة أكرم الله عز وجل بها نبيه محمداً عليه الصلاة والسلام وأصل الحوط هو الكوثر والكوثر معين من ماء عذب لا نعرف كيفيته يتفجر في داخل العالم العظيم العظيم الذي سماه الله الجنة يتسلسل منه شيء إلى موقف الحشر إلى عرصات القيامة ويتجمع هذا الماء فيما يسمى الحوط فالكوثر اسم للماء الذي يكون في الجنة والحوط اسم لما وصل منه إلى خارج الجنة وتجمع في الحوط وكلاهما مكرمة أكرم الله بها نبيه محمداً بصريح القرآن (إنا أعطيناك الكوثر فضلي لربك وانحر إن شائتك هو الأبت) فما معنى إكرام الله لرسوله بهذا الحوط أن الله عز وجل يؤذن له بأن يشفع فيمن شاء من عباده فيكرمهم ويسقيهم بيده الشريفة شربة من حوطه هذا وهذا مظهر جليل من إكرام الله لرسوله صلى الله عليه وسلم نحن لا نشك أن العطاء من

الله ولكن هذه الصورة تظهر مدى حب الله لرسوله ومدى إكرام الله لرسوله ولا يجوز لنا أن نرتاب في هذا أبداً يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ((لقد أوتيت الحوط)) والحديث طويل ويقول أيضاً في حديث آخر أيضاً صحيح نعم يقول في أوله ((وا شوقاه إلى أصحابي)) وكان يقول هذا الكلام وهو في البقيع فقال له أحد أصحابه قال ((وا شوقاه إلى إخواني قالوا ألسنا إخوانك يا رسول الله قال بل أنتم أصحابي وإخواني أولئك الذين لم يلحقوا بعد وسأكون فرطاً لهم على الحوط)) أي سأستقبلهم على الحوط ((فقال له الصحابي أو تعرفهم يا رسول الله قال أرأيت لو أن رجلاً له خيول غر محجلة)) الخيل الفرس الغراء التي لها دائرة بيضاء في جبهتها والمحجلة التي لها أسورة بيضاء في قوائمها ((أرأيت لو أن رجلاً له خيل غرّ محجلة وسط خيول دهم بهم)) سود يعني ((أكان يعرفها قالوا نعم قال فأنا أعرفهم غرّ محجلين من آثار الضوء ألا وليزادن رجال عن حوضي كما يزداد البعير الضال فأقول ألا هلم ألا هلم فيقال إنك لا تدري كم بدلوا من بعدك فأقول فسحقاً فسحقاً فسحقاً)) والأحاديث في هذا كثيرة إذن الإيمان بالحوط أيضاً مما يجب على المسلم أن يؤمنه وأخيراً الصراط ما هو الصراط أيها السادة كلمة الصراط تعني في اللغة الطريق العريض جداً والمستقيم جداً فالسبل المتعرجة لا تسمى صراطاً وإنما يسمى الطريق العريض صراطاً تشبيهاً بالفم الذي يبتلع المفتوح الفاجر الذي يبتلع اللقمة ابتلاعاً لأن كلمة الصراط في الأصل بمعنى الابتلاع فنقول عن هذا الطريق صراط كأنه فم مفتوح يبتلع المارة الذين يسلكونه هذا هو أصل معنى كلمة الصراط في اللغة وفي القرآن الصراط كلمة الصراط تأتي لأحد معنيين إن تكلم البيان الإلهي عن الصراط في دار الدنيا فالمعني بهذه الكلمة المبدأ الشرعة والمنهاج ونظير هذا قول الله سبحانه **(وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله)** وإذا تكلم الله أو البيان الإلهي عن الصراط يوم القيامة فالمعني به جسراً منصوب على ظهر جهنم ذلك العالم الفسيح الكبير الذي لا يعلم مدى اتساعه إلا الله هذا الجسر يسمى صراط وهذا قد ذكره بيان الله عز وجل وأكده رسول الله من الأدلة على هذا في كتاب الله سبحانه وتعالى قوله عز وجل **(ولو نشاء لطمسنا على أعينهم فاستبقوا الصراط فأنى يبصرون)** لا يستطيعون أن يسبوا عليه أيضاً من ذلك قول الله عز وجل **(وإن منكم إلا واردها) وارد جهنم (كان على ريك حتماً مقضياً)** ليس معنى واردها أي واقع فيها وإنما الورود بمعنى المرور فوقها تقول وردت الإبل النهر بمعنى اجتازت النهر ولما ورد ماء مدين اجتاز ماء مدين وإن منكم إلا واردها أي ما منكم إلا وسيمر على جهنم كيف يمر عن طريق هذا الصراط ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ((ثم ينصب الصراط

على جهنم وهو طريق أحد أرق من الشعرة وأحد من السيف نعم وعن يمينه وشماله خطاطيف كخطاطيف السعدان أرايتم شوك السعدان إلا أنه من العظم بحيث لا يعلمه إلا الله هكذا يقول رسول الله)) ثم يؤمر الناس بالاجتياز فوقه ودعوى الرسل والأنبياء يومئذ اللهم سلم اللهم سلم فمن الناس من يجتاز فوقه كالبرق يعني يجتاز كسرعة الضوء أو أكثر ومن الناس من يجتاز كالريح المرسلة ومن الناس من يكون كالخيل المجرية ومن الناس من يكون أقل ومنهم من يزحف زحفاً على الصراط ثم هنا سؤال قد يقول أحدنا هذا غير معقول يعني الإنسان لا يكاد يستطيع أن يسير على طريق فوق وإد إذا لم يكن عريضاً يعني لا يستطيع أن يسير على طريق إذا كان مثلاً متر فقط وعن يمينه هاوية ويساره هاوية فكيف إذا كان الطريق أرق من الشعرة وأحد من السيف هذا شيء كالمستحيل الحقيقة أن رسول الله أوضح لنا أيضاً أن هذا هو شأن الصراط في الأصل ولكن من الناس من إذا بدؤوا المرور به اتسع هذا الصراط تحت أقدامهم واتسع ثم اتسع فلم يبالي منه بضيق ولم يبالي منه بأي خطر إطلاقاً واجتاز كما يقول رسول الله كالريح المرسلة أو أسرع ومنهم من يضيق ثم يضيق ثم يضيق حتى يكون هكذا فلا بد أن يتجندل ويقع طبعاً وما الحكمة من أنه يضيق هذا الصراط على أناس ويتسع لأناس هذا الصراط هو ليس رمزاً هو واقع يجب أن نعرفه لكن هذا الواقع المجسد انعكاس لواقع سير الإنسان في حياته الدنيا فمن عاش حياته الدنيا وقد وضع عبوديته لله موضع التنفيذ وضيق على نفسه فجاج التعامل مع الحياة طبق المنهج الإلهي ففطن نفسه عن كثير من المشتبهات التي رآها عن يمينه وفطن نفسه عن كثير من المتع رآها عن شماله وهكذا ضيق على نفسه طبيعة الإنسان إذا التزم بأوامر الله خصوصاً في عالم كهذا العالم المادي أنه يجد المتع كثيرة فيحمل نفسه على الصوم وعلى التضيق من ضيق على نفسه الصراط اتباعاً لأمر الله في الدنيا وسع الله عليه هذا الصراط انعكاساً وصدى لالتزامه لأمر الله في الآخرة ومن وسع على نفسه صراط حياته الدنيا بأن قفز إلى كل ما يشتهي وتقلب في كل نعيم يتغيه وما من متعة نالته يده نالتها يده إلا وأقبل يمتع نفسه بها لم يصطدم لا بحلال ولا حرام وقفز فوق كل الحدود وقفز فوق كل الشرائع وسع على نفسه الطريق في دار الدنيا الباري عز وجل بالمقابل يضيق عليه لأنه أخذ حظه ووسع على نفسه آنذاك فقد أن أن يضيق عليه الأمر هنا فإذا من أراد أن يتسع الصراط تحت قدمه آنذاك فليضيق حياته بمقياس الشرع اليوم ومع ذلك فهو ليس بضيق ما أصعب ذلك الضيق يوم القيامة وما أيسر هذا الضيق في دار الدنيا أي ضيق هذا إذا ألزم الله نفسه بالحلال وتجاوز المحرمات فإن الله يعوضه عن المحرمات خيراً

ويعطيه خيراً مما فاته ويقول المصطفى عليه الصلاة والسلام ((من ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه)) نعم هذا الصراط إذن يسير عليه الناس جميعاً فمن سبق له من الله الحسنى تجاوزه بدون صعوبة ولا هلع ولا خوف والله هو الذي يدخل الأمن والطمأنينة في قلوب من شاء من عباده ويدخل الرعب في قلوب من يشاء أما الآخرون فلا شك أنهم يدفعون إلى السير على هذا الصراط دفعاً ثم ما هو إلا أن يترنخوا فيقعوا في مهواة العذاب هل هنالك عذر باسم العلم أو باسم المنهجية في أن يسمع كلام هذا فلا يصدق يقول أنا لا أصدق بهذا الكلام عذره الوحيد أنه يلتفت يميناً وشمالاً فلا يرى شيئاً يتناسب مع هذا الكلام يجعل من دنياه التي يعيش فيها برهان صدقٍ أو عدم صدقٍ هذا الذي يخبر به الله سبحانه وتعالى وهذا لون عجيب من ألوان السخف بل الحمق خالكك يقول لك الذي أقام هذا النظام الكوني الذي تتقلب فيه يخبرك أنه سيحييك إلى نظام آخر ويجعلك تسير على هذا المنهاج وهذا المنوال فمن شاء أن يصدق ومن شاء أن لا يصدق وللإمام الغزالي كلام جميل في إحيائه في آخر جزء من الإحياء عن الصراط ويخاطب الذين يرتابون بهذا بكلام لا أحب أن أقوله ولكني أحب من كل منا أن يعود فيقرؤه ليأخذ منه العبرة الغربية والعجيبة وبهذا أيها الإخوة نكون انتهينا من سائر أو من أهم الأحداث المتعلقة بيوم القيامة هي سلسلة أحداث داخلية في قائمة الغيبات ولكن الله أنبأنا بها جميعاً ونحن على ميعاد معها فماذا بعد اجتياز الصراط بعد اجتياز الصراط تأتي المرحلة الأخيرة مرحلة القرار والقرار إما أن يكون في عالم اسمه الجنة أو في عالم آخر اسمه النار مع العلم بأن هنالك عصاة قد يعذبون في النار إلى ميقات محدد ثم إن الله يتوب عليهم وينقلهم إلى نعيمه ورضوانه والآن أريد قبل كل شيء أن نعلم ما معنى الجنة والنار ثم أن نتساءل هل نعيم الجنة وعذاب النار أمران معنويان للروح فقط أم هما لكل من الروح والجسد معاً ثم نريد أن نعلم أن بقاء الإنسان في الجنة أو في النار إلى نهاية أم إلى غير نهاية أي يبقون خالدين هذه هي المسائل التي ينبغي أن نعالجها أولاً ما هي الجنة كثير من السذج والسطحيين والذين يفتقرون إلى الثقافة الإسلامية يظنون أن الجنة التي تحدث عنها الله عز وجل عبارة عما يشبه غيضة أو غابات كثيفة واسعة جداً جداً يتسلسل بينها أنهار وأن الناس يسرحون ويمرحون بين هذه الأشجار وقد رأيت صوراً لأناس يعني تخيلوا الجنة فصوروها كما قلت لكم عبارة عن غيضة واسعة جداً جداً وأنهار هكذا ولكن هذا وهم مضحك فكلمة الجنة من قبيل تسمية الكل باسم الجزء أصل كلمة الجنة في اللغة العربية بمعنى البستان الذي تقاربت أشجاره وتكاثفت بحيث أن الداخل فيه لا يُرى من كثافة الأشجار ولذلك سمي جنة أو

جنيئة لأن كلمة الجيم والنون هذه المادة تأتي بمعنى الستر الجن يسمون جنناً لأنهم مستورون جن عليه الليل أي ستره الليل الجن الترس لأنه يستر وجه الإنسان الجنة سميت جنة لأنه بستان كثيف الأشجار هذا أصل معنى الجنة في اللغة لما كان من أبرز ما في الجنة خضرتها وأشجارها فقد سمى الله هذا العالم الذي فيه كل نعيم باسم جزء من أجزائه فهو من قبيل اسم تسمية الكل باسم الجزء ولما لم يدرك هذا المعنى كثير من السذج بل الحمقى ممن يحترفون الكذب على الله والاتجار بتشكيك المسلمين بدينهم لما لم يعرفوا معنى الجنة حاولوا أن يدخلوا ريبة في أذهان بعض السذج فماذا قالوا فيم قرأنا لهم محمد عليه الصلاة والسلام كان ذكياً يريد أن يربط قومه بمنهاج إصلاح ربطاً قوياً وجد أن أهم ما يحلم به العرب خضرة مياه غامرة لأن أرض الجزيرة العربية كانت آنذاك قاحلة ليس فيها عرق أخضر والناس يسيرون أميالاً طويلة ولا يجدون جدول ماء ولا ينبوع ماء فكان أعظم ما يحلمون به أن يجدوا جنة وارفة الظلال ومياهاً عذبة فمناهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إن هم اتبعوا تعاليمه بأن الله يكرمهم بجنة كالتي يحلمون بها ومياه عذبة وأنهار تجري وما إلى ذلك هكذا يكتب اليوم بعض محترفي الغزو الفكري في بلادنا العربية وأنا أعلم أن إسرائيل تمدهم بمزيد من الطاقة علم هذا من علم وجهله من جهل وفي المسلمين أنفسهم من تحولوا إلى عبيد لأولئك السادة لهم فيخدمونهم ويسعون ورائهم جنوداً لتحقيق آمالهم ماذا نقول نحن مرة أخرى أعيد إلى ذاكرتكم أيها الإخوة والأخوات أننا رواد علم وأنا لا نتنازل عن منهج العلم وميزانه من أجل أي عصبية فلا نتعصب لدين ولا نتعصب ضد دين وإنما نمسك بمصباح العلم أنى سرنا وفي أي الفجاج رأينا أنفسنا أولاً من الذي قال إن الجنة التي وعد رسول الله بها الناس والتي وعد الله بها عبادة عبارة عن هذا الشيء البسيط عبارة عن أشجار وبساتين ومياه كنت أتمنى لو أن هؤلاء المحترفين قرؤوا القرآن أقل المراتب حتى يعلموا أن كذبهم حبله قصير جداً ألم يقل الله عز وجل **(فيها ما تشتهي النفس وتلد الأعين وأنتم فيها خالدون)** يؤكد البيان الإلهي أن هذه الجنة عالم من الملاذ ويختصر الكلام فيقول فيها ما وما أداة عموم تشتهيه النفس وتلد الأعين وأنتم فيها خالدون ويقول الله سبحانه وتعالى أيضاً في سورة قاف **(وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد هذا ما توعدون لكل أبواب حفيظ من خشى الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب ادخلوها بسلام ذلك يوم الخلود لهم ما يشاؤون فيها ولدنا مزيد)** علاوة شيء لا يخطر في البال يكرمهم الله عز وجل به نعم ويقول الله سبحانه وتعالى **(إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون لا يسمعون حثيثاً وهم)** وانظروا إلى هذا الكلام **(وهم فيما اشتتت أنفسهم خالدون)** فيم

اشتتت أنفسم ثم اسمعوا كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول نعم ((فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر)) ولكن الله سمي هذا العالم الذي فيه كل شيء مما جربنا نعيمه ومما لم نجرب نعيمه بعد سماه باسم جزء من أجزائه ما هو الجزء الذي اختاره الأشجار والخضرة والمياه الجنة التي تجري من تحتها الأنهار تسمية الكل باسم الجزء لكنني أسأل هنا نفسي وأزاد تعميقاً للموضوع لماذا اختار الله هذا الجزء بالذات لم يختار أن يسمي هذا العالم باسم آخر غيره انظروا أيها الإخوة إلى حكمة الله هذا الكلام العالي أسمى من أن يستطيع أصحاب الغزو الفكري أن يقذفوه بحفنة من التراب التراب سيعود إلى رؤوسهم ويبقى الدين متألئاً في سمائه كذلك النجم الوضاء المنير نعم الإنسان في أي عصر من العصور وفي أي عهد من العهود ومهما تطورت الحضارات نزع إلى الخضرة نزع إلى أن يتمتع نفسه بنعيم منظر الخضرة اليانعة والأزاهير الفواحة من حوله هذا أمر مهما تطور النعيم لا يتطور وانظروا إلى أوروبا اليوم كم تقدمت صُعداً في التفتن بأنواع النعيم والمشتهيات ولكن تعلقهم بالخضرة اليوم أشد مما كان سابقاً تعلقهم بهذه الطبيعة أشد من الأول بكثير والماء (وجعلنا من الماء كل شيء حي) مهما تطور الإنسان فخميرة النعيم هي الماء مهما تطور الإنسان فالماء العذب لا يمكن أن يستغني عنه الإنسان وانظروا إلى متع الغرب اليوم وبالأمس وقبل الأمس تطورت أنواع النعيم ولكن هنالك أشياء ثابتة لم تتطور أبداً فجعل الله عز وجل الجزء الذي سمي الكل باسمه هو الجزء الباقي المستمر في كيان الإنسان الحضاري مهما تطور ومهما تبدل وتغير ترى هؤلاء الذين ينعنون رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذا التصور الأبله ترى هل يعني وصلوا إلى أوج من الحضارة وسموا فوق عرب الجزيرة العربية بحيث لم يعودوا يقيموا وزناً للخضرة والرياحين والأنهار بل أقول هل تعلقهم بهذه الخضرة والمياه الجارية أقل من تعلق الرجل العربي بها مهما تقدم الناس ومهما تطورا فستظل علاقتهم بذلك علاقة مستمرة ثابتة إذن هذا هو نعيم الجنة فيه كل ما يمكن أن يخطر في البال وفيه شيء يزيد على ذلك ما هو هذا الشيء الذي يزيد لا نعلمه ولكن منه رؤية الله سبحانه وتعالى هذه هي المسألة الأولى انتهينا منها المسألة الثانية نعيم الجنة وهول النار هل هما أمران للروح فقط أم للروح والجسد معاً الحقيقة هما للروح وللجسد معاً وللروح معاً وكثيرون هم الذين يؤمنون بالله في هذا العصر ولكنهم يعني يحاولون أن يحلوا المشكلة بين الملحدن والمؤمنين حلاً وسطاً يعني أن يحملوا العصا كما يقول بعض الناس من الوسط فيقولون هنالك حشر ولكنه ليس حشراً للأجساد ولكنه حشر للأرواح والذي يتنعم الروح والذي يتعذب هو الروح والقرآن عجيب في إعجازه

فالله علم أن هنالك أناس سيأتون وسيخوضون غمار هذا الحل الذي هو أسوأ من أصل الزندقة وكثير من أنواع الإلحاد يقولون هذا الكلام الخرافي ولذلك تجدون أن القرآن يمعن وهو يصف الجنة يمعن في وصفها بدقائق الأشياء المادية حتى يكون هذا قطعاً لألسنة الذي يصفون الجنة بأنها نعيم روي فقط انظروا إلى قوله عز وجل مثلاً (فالسابقون السابقون أولئك المقربون في جنات النعيم ثلثة من الأولين وقليل من الآخرين على سرر موضونة متكئين عليها متقابلين يطوف عليهم ولدان مخلدون بأكواب وأباريق وكأس من معين لا يصدعون عنها ولا ينزفون وفاكهة مما يتخيرون ولحم طير مما يشتهون وحوار عين كأمثال اللؤلؤ المكنون) لماذا يصف الله عز وجل الجنة بهذه الصفات الجزئية أكواب ظلال (وطلح منضود وظل ممدود وماء مسكوب وفاكهة كثيرة) لماذا الحكمة هذه حتى تعلم أن نعيم الجنة نعيم للجسد والروح معاً لو كان نعيم الجنة للروح فقط ما معنى الأكواب ما معنى الظلال ما معنى الطلح المنضود والظل الممدود والماء المسكوب والأمر ذاته عندما يصف الله عز وجل هول النار أي هول ذلك العالم الذي من بعض أجزاء عذابه النار يقول الله سبحانه وتعالى (صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم دُق إنك أنت العزيز الكريم) ويقول (وسقوا ماءاً حميماً فقطع أمعاءهم) إذن هنالك ماء حار وهنالك أمعاء تتقطع لا مجال لتصور أن هذا العذاب عذاب للروح فقط وانظروا إلى قوله عز وجل (وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال في سموم وحميم وظل من يحموم لا بارد ولا كريم إنهم كانوا قبل ذلك مترفين وكان يصرون على الحنث العظيم وكانوا يقولون أئذا متنا وكنا تراباً وعظاماً أئنا لمبعوثون أو آباؤنا الأولون قل إن الأولين والآخرين لمجموعون إلى ميقات يوم معلوم ثم إنكم أيها الضالون المكذبون لا تكونون من شجر من زقوم فمائلون منها البطون فشاربون عليه من الحميم) أي الماء المغلي (فشاربون شرب الهيم) المتطوحين (هذا نزلهم يوم الدين) كيف يمكن لإنسان أن يصور لنا بعد هذا الكلام أن العذاب عذاب جهنم عذاب روحاني وأن النعيم نعيم الجنة نعيم روحاني وهذا من مظاهر إعجاز كتاب الله عز وجل فهو رد على زيف قديم ورد على كل ما يجدد من أنواع الزيف إلى يوم القيامة إذن انتهينا من هذه المسألة الثانية أيضاً يجب أن نعلمها من تصور أن النشأة الثانية والنعيم أو العذاب فقط للروح فقد كفر لا شك في هذا إطلاقاً ثم إننا نسأل ما هو المدى الذي يكون ينتهي عنده نعيم الجنة وينتهي عنده عذاب النار والجواب لا مدى فنعيم الجنة أبدي لا نهاية له وعذاب جهنم للابثين فيه الكافرين والجاحدين لا نهاية له ولا مدى وهذا معنى الخلود الذي وصف الله سبحانه وتعالى به كلاً من الجنة وكلاً من النار (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات

الفردوس نزلاً خالدين فيها لا يبعثون عنها حولاً) ويقول أيضاً عن الكافرين (ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك قال إنكم ماكثون) ويؤكد هذا فيقول (كل ما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها) فلا نهاية لا لعذاب الكافرين ولا لنعيم أهل الجنة وهذا الكلام يذكرنا بمشكلتين تثوران في أذهان بعض الناس نجيب عنهما إن شاء الله والمشكلة الأولى هي أن الكافر صحيح كان كافراً لكنه عاش خمسين سنة أو سبعين سنة أو مئة سنة فكفره عظامه من الزمن مئة عام إذن فليعذب مئة عام لماذا ينال العذاب الدائم والواصل كذلك الذي رحل إلى الله مغفوراً ملتزماً بأوامر الله جهد استطاعته نعم كان مستجيباً لأوامر الله مطيعاً له فيما أمر خمسين عاماً أو مئة عام كذلك الآخر فلماذا يلقي هذا النعيم الذي لا نهاية له الجواب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن ((الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أجسادكم ولكن ينظر إلى قلوبكم)) الجزء الذي يُعطاه الإنسان يوم القيامة صحيح العمل كشاف عن سببه وخلفياته لكن مناط هذا الجزء في القلب علم الله عز وجل أن هذا الإنسان الذي مات جاحداً لو عاش مثل عمره ولو عاش عمر الدهر كله فلسوف يظل على حالته هذه فلما كان قد عقد العزم على أن يبقى على كفره فإن الله سبحانه وتعالى جعل عقابه بما يتناسب مع عزمه هو وانظروا إلى قوله عز وجل في بيان هذا السبب (ولو ردّوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون) المشكلة الثانية أيها الإخوة والأخوات هي السؤال التالي قد عرفنا أن البقاء من صفات الله وحده فالله وحده هو الذي يتصف بالبقاء والأبدية وعندما نقول إن أهل الجنة ينعمون في الجنة بدون نهاية أي يكونون مخلدين في الجنة وأن أهل العذاب يكونون مخلدين في عذابهم فإن إشكالاً يقع من جراء هذا الكلام خلاصته أن أولئك الناس عندئذ يشتركون مع الله في صفة البقاء وقد عرفنا أن صفة البقاء والخلود من خصائص رب العالمين عز وجل فما الجواب الجواب أن صفة البقاء من صفات الله عز وجل التي لا يشاركه فيها أحد لكن ما هي صفة البقاء أي بقاء الله عز وجل بذاته دون حاجة إلى من يقيه ودون حاجة إلى من يحميه من الهلاك بقاؤه ذاتي وخلوده ذاتي هذه الصفة كانت ولا تزال ولن تزال خاصته بالله سبحانه وتعالى أما الإنسان يوم القيامة إذ يخلد في الجنة أو في النار فخلوده بتخليد الله عز وجل له وخلود الكافر أيضاً بتخليد الله سبحانه وتعالى له بحيث لو أن الله تخلى عنه يتبدد وينتهي ويزول وهذا ليس صفة ذاتية من صفات البقاء وقد نوّه القرآن بهذا المعنى ولفت النظر إلى الجواب عن هذا الإشكال وذلك عندما قال (فأما الذي شَقُّوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا من شاء ربك إن ربك فعال لما يريد وأما الذين سَعِدُوا ففي الجنة خالدين فيها

ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ لماذا يقول هنا إلا ما شاء ربك هو يقول خالدين فيها فما معنى الاستثناء الاستثناء هذا معناه أي هؤلاء مخلدون وهؤلاء مخلدون ولكن فلتعلموا أن خلود كلا الفريقين ليس خلوداً ذاتياً خلود منوط بمشيئة الله عز وجل حتى إذا شاء الله عز وجل لو شاء وهو لا يشاء قضى أن يخلدوا بتخليد الله إياهم لكن لو شاء أن يفنيهم لأفناهم فبقاؤهم مخلدين أشبه ما يكون ببقاء الطفل محمولاً بيدي أبيه قد يبقى مدة طويلة وهو هكذا يحمل ولده فنقول هذا الولد بين السماء والأرض وهو قائم هكذا بدون أن تمس قدمه الأرض وممكن أن يبقى هكذا ما شاء الله أن يبقى لكن لا يمكن لأحد أن يقول هذا يسمى وقوفاً من الطفل هذا وقوف من الطفل بإيقاف أبيه له وهذا هو الجواب عن هذا السؤال أيضاً فإذا انتهى الأمر إلى استقرار أهل الجنة في الجنة واستقرار أهل النار في النار فإن ذلك هو النهاية التي لا نهاية بعدها وكل ما نراه أيها الإخوة من مظاهر النعيم في الدنيا نماذج نماذج وعينات الطعام الشراب المسكن متعة العين الصلات الجنسية كل ذلك نماذج وعينات صغيرة جداً جداً جداً تتكبر يوم القيامة بحيث يجد الإنسان منها نعيماً يذكره كما قال الله عز وجل بنعيم الدنيا ولكنه يعلوا عليه جداً ويقول الله تعالى به **(كلما رزقوا منها ثمرة رزقاً قالوا هذا الذي رزقنا من قبل وأتوا به متشابهاً)** لكن دعوني أقول لكم كلمة تجول في خواطر كثير منكم لا سيما في خواطر كثير من النساء والفتيات سؤال يخطر في البال لماذا يحدث الله عز وجل الإنسان عن المحور العين دائماً كمتعة يمّني بها الرجال ويعدهم بها في حين أنه لا يعدهم بمثل لا يعد النساء بمثل هذا النعيم هذا سؤال يتطارحه بعض الناس وربما استغله بعض محترفي الغزو الفكري أيضاً كما نقول الجواب أفضل ثم أجمل لاحظوا أيها الإخوة أن القرآن كتاب نبأ وكتاب تعليم وهو قبل ذلك ومع ذلك وبعد ذلك كتاب تربية فهو يربي الناس على الفطرة التي نشأهم عليها أرجوا أن نتبه جيداً الله عز وجل فطر الرجل على طبيعة تجعله هو الراغب وهو الطالب ليد الفتاة ونشأ الفتاة على فطرة وطبيعة تجعلها سعيدة بأن تُطلب لا بأن تطلب ثم إن الله جعل المنهج التربوي متآلفاً مع هذه الفطرة التي نشأ الله كلاً من الرجل والمرأة عليها هذه حقيقة نعرفها جيداً ودعوا القرآن تعالوا ننظر لتربية الرجل لأبنائه ولبناته نحن نعلم أن الأب يتفاعل مع هذا المعنى تفاعلاً كبيراً حتى ولم يكن متديناً عندما يكلف ابنه بأن يقوم بخدمة ما برعاية ما فيقوم الولد ويسعى في خدمة أبيه كما يشاء ما أكثر ما يعده يعد الأب ابنه بأن يزوجه من فتاة جميلة وأن يسعده معها كنوع مما يعد به الأب ابنه لكن رأيت لو أن هذا الإنسان أمر ابنته بأن تقوم بخدمة ما له فقامت كما قام أخوها هل يقول لها مثل ما

قال لأخيها لا يقول وهو يعلم أنه لو قال لها ذلك لجرح كرامتها ولأساء إلى شعورها لا يقول لها هذا الكلام ويخفي هذا وإن كانت رحمته وعدالته في المعاملة تقتضيه أن يسوي بينهما في هذا العطاء هذه حالة الإنسان مع الإنسان عندما يسلك المنهج التربوي مع أسرته هذا المعنى ذاته نجده في كتاب الله سبحانه وتعالى فالله عز وجل عندما يعد الرجال بالحوار العيني ليس معنى ذلك أنه حرم النساء من هذا ولكن السبب هو أن الله عز وجل وقد نشأ الإنسان كلاً من الرجل والمرأة على الفطرة التي أشرت إليها جعل التربية القرآنية تغذي هذه الفطرة ولا تختلف معها ولا تتناقض معها بشكل من الأشكال هذا هو التفصيل وأما الإجمال فإن الله عز وجل قد قال وقد أشرنا قبل قليل إلى مثل هذه الآيات **(فيها ما تشتهيهِ الأنفس وتلد الأعين وأنتم فيها خالدون)** وكلمة الأنفس آل للجنس والجنس شمل كلاً من الرجل والمرأة والله يقول لكل من الرجل والمرأة إن لك ما تشتهيهِ نفسك وهذا الإجمال يغني عن التفصيل ويقول الباري سبحانه وتعالى أيضاً في الآية الأخرى **(وهم فيمٍ اشتهت أنفسهم خالدون)** وضمير المذكور هنا يجري على التغليب وليس خاصاً بالرجال وقد سألت أم سلمة مرة رسول الله صلى الله عليه وسلم قائلة يا رسول الله ما لنا لا نرى لأنفسنا ذكراً في القرآن يعني دائماً القرآن حديثه عن الرجال فنزل قول الله عز وجل **(إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والصادقين والصادقات)** إلى آخر الآية هذه الآية الطويلة اختصر البيان الإلهي فيها أن كل عطاء وعد الله به الرجل لإيمانه يعد الله به المرأة أيضاً لإيمانها ولعملها الصالح كل ما في الأمر أن التفصيل الذي نراه للرجل ولا نرى مثله للمرأة يعود إلى حكمة عالية جداً هي أن القرآن ينبغي أن يكون متسقاً في تربيته مع الفطرة التي فطر الله كلاً من الرجل والمرأة عليها إذ جعل الرجل يرغب في أن يكون طالباً وجعل المرأة ترغب في أن تكون مطلوبة كأني بأحدكم يقول لكن هذا كان فيما مضى اليوم المرأة لا تبالي بأن تطلب ولا ضير في ما تشعر به أن تكون هي الطالبة والراغبة نعم هذا يكون في بعض المجتمعات بل ربما في كثير من المجتمعات أيضاً لكن أبطال هذا التطور أنفسهم يعلمون أنهم قد شذوا عن الفطرة الإنسانية فالفتاة إذ تمد يد الطلب إلى الرجل وإذ تنطق بملء فمها بالخطبة إذ تخطب إلى نفسها شاباً تتمنى لو أنه كان هو السابق إليها وهو الطالب ولكن سوء الطالع في مجتمعها الذي تعيش فيه جعل الشباب يزهدون في الزواج ويتعدون ومن ثم فقد اضطرت المرأة أن تخرج على فطرتها وأن تمارس وضعاً شاذاً من أجل أن تصل إلى رغبة هي الأخرى فطرية في كيانها ولو خيّرَت المرأة أن تخطب الرجل وتسعى وراءه وتدفع المهر له وبين أن تجلس على عرش كرامتها ويطوف الشاب بها ويطلب يدها كل

منا يعلم أنها تفضل الحالة الثانية لا الأولى وإني لأعلم أن قريباً لي تزوج امرأة أو فتاة في أمريكا كان يقيم في أمريكا بخطبة منها له ولما جاء بها إلى سوريا ليزور أهله قالت له في رجاء وذل أرجو أن لا تقول لأهلك أنني الذي طلبتك وأرجو أن تسترني أمام أهلك وأمام العادة الكريمة التي أكرمكم الله بها وأنا عشت هذا الرجاء ورأيتك نعم رأيت الرجل وهو يقول لي هذا الكلام إذن هذه الفطرة ستظل هي المحكّمة والخروج عليها شذوذ وكتاب الله كتاب تربيوي والتربية تسير مع الفطرة ولا تشذ عن الفطرة هذه نهاية رحلتنا في ما يتعلق بدراسة العقيدة الإسلامية فيما يتعلق بالمنهج العلمي والدلائل العلمية بدأنا هذه الرحلة من بحث الدليل على وجود الله عز وجل وما يتعلق به ثم الإيمان بالنبوات ثم الإيمان بالقرآن ثم الحديث عن الكونيات وما ينبغي أن نفهمه من المكونات ثم الحديث عن الغيبات بقي أمران اثنان نريد أن نوضحهما الأمر الأول هو أن نتبين أن تثبيت العقيدة الإسلامية في القلب يكون عن طريق العلم ليس إلا كما صنعنا الآن ولكن إدامة غراس العقيدة في القلب أو في العقل يكون بعلاج آخر ألا وهو ذكر الله سبحانه وتعالى والإكثار من مراقبته هذا هو الموضوع الأول الذي نريد أن نبحث فيه الموضوع الثاني الذي نريد أن نبحثه هو ثمرة هذه العقيدة التي عرفناها في دار الدنيا قبل أن نرحل إلى الآخرة ما هي هذه الثمرة هي أن نعلم وقد آمننا بالله عز وجل وسلطانته أن نعلم أن الحاكم الأوحيد في هذه المملكة الكونية هو الله عز وجل وأن الحاكمة في هذا الكون إنما هي لمولانا وخالقنا سبحانه وتعالى وأن مهمة الإنسان في مملكة الله عز وجل إنما هي السعي الحفي من أجل تنفيذ حكم الله ومن أجل تطبيق أوامر الله ومن أجل بناء هذه الأرض هذا الكوكب الأرضي على النحو الذي يرضى عنه الله سبحانه وتعالى هذه الحقيقة لا بد أن نفصل القول فيها وسأعدكم أن نرجع إليها بشيء من التفصيل إن أحيانا الله ووفقنا ونسأل الله لنا جميعاً القبول والحمد لله رب العالمين.